"هل تريد أن تكون كاهناً؟" - بعيون المشاركين

بقلم المتروبوليت سابا (اسبر)

"عندما يمسك الله بالفلوت ويبدأ العزف، تبدأ الجبال بالتراقص، فمن يقدر على إيقافها!" (جاك بريفير، شاعر فرنسي)

من أجل مساعدة شبابنا على سماع نداء الله في داخلهم كانت خلوة "هل تريد أن تكون كاهناً؟" التي أقامتها الأبرشية بالتعاون مع مؤسسة الإيمان القديم، ولبّى الدعوة إليها اثنان وثمانون شابّاً وخمسون من الزوجات أو الخطيبات.

انطلقت الفكرة ممّا ألاحظه من علامات للخدمة الكهنوتية في وجوه الكثير من الشباب الذين ألتقي بهم خلال زياراتي للرعايا. كذلك ممّا أتطارحه وعدد من المؤمنين والمهتمين برسم سياسة رعائية لمستقبل الأبرشية في السنين الآتية. توقعنا التجاوب مع الدعوة، لكنّنا لم نتوقّع أن يصل عدد المتجاوبين إلى هذا الرقم. كتب أحد المشاركين: "نحن مستعدون للخدمة بأيّ صورة تراها الأبرشية مناسبة."

كانت الخلوة ناجحة بكلّ المقاييس. وما قاله المشتركون من كلا الجنسين أكّد بوضوح على ما قدّمته الخلوة لهم من تعرّفٍ أفضل على ما يختبرونه بشأن تكرّسهم لله عبر خدمة كنيسته، وعلى ما أمّدتهم به من إرشاد روحي في كيفية رعاية هذه الدعوة حتّى تصل إلى النضج المطلوب. كما إنّ مشاركة بعض الكهنة وزوجاتهم في الخلوة، وتقديمهم خبراتهم في هذا المجال الخدمي الكهنوتي كان له الوقع الطيب في نفوس المشتركين، على ما عبّر أحدهم وزوجته. فيما كتب آخر: "أنا ممتنّ جدّاً لهذه الخلوة الروحية، وللمحبّة التي أظهرها صاحب السيادة والكهنة، وقد شجعتني الأمثلة التي قدّموها لنا."

ساعدت الخلوة بعضهم على إدراك أفضل لنوع الخدمة الكنسية التي تميل نفوسهم إليها، فقد اكتشف بعض المشاركين أنّهم يميلون حالياً "إلى خدمة الشموسية الدائمة." وعبّر آخر، والده قسّ بروتستانتي، ولكن لا يوجد في بلدهم الذي جاؤوا منه كنيسة أرثوذكسية، عن رغبته في أن يكون كاهناً مبّشراً: "وإذا كانت مشيئة الله أن أُبارك يومًا

بالخدمة الكهنوتية، فأرجو أن أكرّس نفسي لحمل المسيح وكنيسته إلى (...) من خلال الخدمة الأمينة والكرازة وشهادة الحياة."

مشاركة بعض خوريات الأبرشية ساعدت المشتركين في تقدير دور زوجة الكاهن وأهمية نضج دعوتها بالتزامن مع دعوة زوجها. ورد في كتابات بعض المشاركين مايلي: "لديّ رغبة في أن أصبح كاهنًا إن كانت هذه مشيئة الله. وعلى أقل تقدير، أودّ أن أكون جزءًا من سلك الشموسية. لكنّني قلقٌ بشأن خطيبتي وكيف ستتأقلم مع دور الخورية. لذلك سأناقش معها هذا الاحتمال برفقة كاهن رعيتي." فيما كتب آخر: " ساعدتني هذه الخلوة على أن أدرك أنّني بحاجة إلى العودة والاهتمام بالأساسيات، مثل حياة الصلاة المنتظمة، وأن أصلي من أجل زوجتي لأنّها لم تشعر بعد بالدعوة، رغم أنّني أعلم أنّها ستكون خورية رائعة بسبب قلبها المملوء محبّةً وغفرانًا. تقول زوجتي إنّها ستتبع مشيئة الله."

أمّا فرصة التعرّف إلى الكهنوت في واقعه في إطار عائلة الكاهن، فقد بدأ المشتركون يتعرّفون إليها جيّداً. "لقد كانت هذه الخلوة فرصةً ممتازة للتعرّف على الكهنوت من كلا الجانبين، أي من منظور الكاهن وزوجته." كذلك ساعدت الخلوة في لفت الانتباه إلى أهمية البيئة العائلية في تنمية الدعوة وفي نضجها. جاء في إحدى التعليقات: " أريد أن أتمّم مشيئة الله وأتعرّف إليها. العائق الأكبر أمامي هو الأسرة. فقد أصبح حماي جّدّاً لأوّل مرّة، وهو في الرابعة والثمانين من عمره (والآن عمره ٨٧ عامًا)، وابني هو أول حفيد من حفيدين له. ولست مهيّأً حالياً للانتقال وأخذ ابني بعيدًا عنه، في هذه المرحلة من حياته. لذلك لا أشعر أنّني مستحقّ أو مستعدّ بعدُ. أصلّي أن يمنحني الله مزيداً من الوضوح بينما أصلح أوجه القصور التي كشفها لي هذا اللقاء الروحي."

أمّا كيف تنمو الدعوة وتتضح وتنضج فهذا ما ساعدت الخلوة على إدراكه بيقظة ووعي، سواء من خلال الميل الشخصي وسماع نداء الله، "كانت فكرة خدمة الكنيسة حاضرة دائماً في ذهني، لكنّني أردت أن أسير بتأنٍّ وأن أركّز أولاً على تعلّم أسلوب الحياة الأرثوذكسي." وأيضاً: "منذ صغري، شعرت بالميل نحو الكهنوت ولم أستطع تفسيره بوضوح. ومع تقدمي في العمر وازدياد معرفتي بالكهنوت، شعرت بالخوف بسبب الثقل

العظيم والمسؤولية الكبيرة التي يحملها الكاهن. وبالرغم من هذا الخوف، لم تفارقني فكرة الكهنوت أبداً. وكلّما خدمت أكثر، ازداد شوقي إلى الخدمة، سواء في المخيمات أو منظمة الشبيبة الأرثوذكسية (SOYO) أو دراسات الكتاب المقدّس. كنت أشعر دائماً بوجود شيئ ما ناقصٍ. عندي مزيج من الاختبار؛ أشعر بقدرتي على تقديم المزيد، ولكنّني لا أستطيع في الوقت نفسه. أعتقد أن السبب هو أنّني مدعو إلى الكهنوت منذ طفولتي." أو من خلال الأهل والأصدقاء: "أخبرني العديد من الأشخاص من حولي، من أفراد العائلة وأبناء الرعية والأصدقاء الأرثوذكس وحتّى الأصدقاء غير المسيحيين، بأنّه ينبغي لي أن أصبح كاهناً أو على الأقل أن أستكشف هذه الدعوة."

لذلك بدأ بعضهم بالسؤال العملي: كيف أتحضّر لهذه الخدمة المباركة. "أودّ معرفة الخيارات المتاحة للأشخاص الذين لم يحصلوا على تعليم ما بعد المرحلة الثانوية، ويرغبون في السعي نحو الكهنوت."

"التحقت ببرنامج القديس إسطفانوس بهدف السعي نحو الشموسية الدائمة. إلّا أنّ المناقشات اللاحقة مع كاهن رعيتي شجّعتني على متابعة طريق الكهنوت والتوقف مؤقتاً عن السعي نحو الشموسية."

المطمئن في الأمر أنّ العديد من المتأكدين من دعوتهم عبّروا عن عدم استحقاقهم ورهبتهم أمام قداسة هذه الخدمة، ممّا يدعو إلى الأمل مستقبلاً بتوفر كهنةٍ بحسب قلب الله في هذه الأبرشية المباركة. "أخشى المذبح، لكنّني أريد أن أخدم المسيح، وأحبّه أكثر ممّا أخاف الأتون". وكتب آخر: "لم أفكّر يوماً، ولا أزال أعتقد، بأنني غير مستحقٍ حتّى للتفكير في الكهنوت."

قد تكون هذه العبارات التي كتبها بعضهم، خير ما نختم به هذا المقال: "كلّ ما أريده هو أن أكون في الكنيسة." وأيضاً: "لقد جرّبت هوايات ومهناً أخرى، لكن لا شيء يفوق محبّتي للمسيح ولكنيسته. ولهذا السبب أؤمن بأنّني مدعوّ إلى الكهنوت."

للمزيد من المعلومات: الفَعَلةُ قليلون!